

الراحل من غير وداع.. ذكرى المرشد محمد المأمون الهضيبي



8 يناير 2020
شعر: د. جابر قمحة

تولّى المرشدية بعد الأستاذ مشهور، وتوقّي فجر الخميس 15 من ذي القعدة 1424هـ = الموافق 8 من يناير 2004 وللأسف، أغفلته وسائل الإعلام، ومنع رجال الأمن عشرات الآلاف من دخول القاهرة للعزاء؛ وذلك بإغلاق مداخلها، ومع ذلك حضر الجنازة قرابة 300 ألف مواطن، وهذه الكلمات أقدمها بمناسبة ذكرى وفاته.. يرحمه الله.

هو الموتُ أعجزَ طبَّ الطبيبِ وفاقَ بيانَ الأديبِ الأريبِ
فللموتِ أوقى بيانٍ مبينٍ بقدره علامِ أخفى الغيوبِ
نضاً إذا حُمَّ فصَّ الحياةَ بسهمٍ قويٍّ عدولٍ صروبِ
فلا المالُ يحمي الثريَّ الأثيمَ ولا حسَبُ منقذٌ للحسيبِ
ولا الجاهُ يجديه يومَ الحسابِ ويدفعُ عنه ثقالَ الذنوبِ
هو العدلُ لا ينثني أو يميلُ بميزانِ حقِّ صدوقِ مُصيبِ

ولكنْ فزَعْنَا بنزفِ القلوبِ لُقْرِقةِ قلبٍ كبيرٍ حبيبِ
وكان كطودٍ رفيعٍ مهيبِ ففي جنّةِ رَحْبَةٍ يا "هضيبي"
في كلِّ عامٍ لنا مِحْنَةٌ فَنفجِعُ في مرشِدٍ بالمغيبِ؟!
بمضى "مصطفى" فرفعت اللوآءَ بعزمٍ قديرٍ، وعقلٍ خصبِ
وقُدتِ المسيرةُ لا الصَّفُّ هانَ ولا أضعفتكَ دواعي المشيبِ
بعشت المشيبَ بروحِ الشبابِ دعوياً قويّاً السنا والشُّوبِ
عزمٍ وفِيٍّ، وقلبٍ فتِيٍّ وفكرٍ مُضيٍّ ثريٍّ نجيبِ
وكنْتَ الصَّمودَ الذي لا يهونُ بليلٍ ظلومٍ، وبومٍ عصيبِ
وناديتُ: "عيشوا شموعَ الجبالِ" فما كان منا سوى المستجيبِ
وقلتُ: "هو النصرُ لا يُستحقُّ بغيرِ الثباتِ وتقوى القلوبِ
هو الخيرُ باقي ليومِ المعادِ فعيشوا الحياةَ لخيرِ الشعوبِ"
رحلت بدونِ وداعٍ؛ لَدَا حنايا القلوبِ لَطَى من تحيبِ
فهذي حشوّدٌ تليها حشوّدٌ وقد رُوِّعَتْ من شبابٍ وشيبِ

تثُعَاك، لا بالدموع الغرَارِ ولكنْ بأكبَادِهَا والقلوبِ
يقد كنتَ حشدًا قويًّا اليقينِ بدينٍ متينٍ وضيءٍ مهيبٍ
دينٍ على الحقِّ والحبِّ قام ودولةً عدلٍ وعلمٍ رحيبٍ
بها الحكم شورى وحريةً وأمرٌ بعيشٍ كريمٍ خصيبٍ

عدتْ أباك "الهضبيي" الكبيرَ بعلمٍ وصدقٍ وجهدٍ ضليبي
فقد كان طَوْدًا أشمَّ العلاء وما اهتَرَ يومًا لعصفِ الهُبوبِ
ولا هاب يومًا نباخِ الكلاب ولا أفرغته جدادُ النيوبِ
وقال: "دعاهُ ولسنا قضاةً" ومرجعنا للإله الحسيبي
فسرت على الدرب "مأمونها" ودرئكَ بزري بكل الدروبِ
عليه منارةُ قرآنا وسنةُ طه الرسول الحبيبي

أأمونٌ.. لا تأسِ إذ جمَّعوا جيوشًا كأننا "بأمِّ الحروبِ"
أهابوك حياً وخافوك مئيتاً بفرضِ حصارٍ دميمٍ عجيبٍ
وقالوا: "هو الحظرُ باسم النظام" فواخيتنا للنظام المرهب!!
نظامٌ يقوم على المخزباتِ وليس به غيرِ إفكٍ كذوبٍ
ويشتان بين نظامٍ طعى بحطراً وسجنٍ وأنيابِ ذيبٍ
ودعوةٍ حقٍ وعدلٍ ونورٍ من الله ترزى بكل الخطوبِ
وإن الجسومَ إذا حوصرت فمن ذا سيحظرُ نبضَ القلوبِ؟!

'أأمون'.. عفوًا، فقد أغفلوك لحقدٍ مريرٍ أئيمٍ غريبٍ
فإعلامهم لم يثبُتْ من بعيدٍ ليومٍ رحيلك أو من قريبٍ
مخافةً أن يُغضبوا الحاكمين فيُحرَمَ ناشئهم من "نصيبٍ"
وضُخفهمو تنشر الموبقات وأنباء راقصةً أو لَعوبٍ
ويُغنيك عنهم صحافُ الخلودِ وذكرك فيها بنورٍ وطيبٍ
وحطك في صفحات القلوبِ كمثلي الربيعِ الشذيِّ القشبيِّ
قد راع فقدك كلَّ الشعوبِ ففي جنَّةٍ رَحْبَةٍ يا "هضبيي"

من معاني الكلمات:

حُمّ: نزل.

الشيوب: التوهج.

الطود: الجبل.

جداد النيوب: الأنبياء الحادة.

'دعاة لا قضاة': كتاب للمرشد حسن الهضبيي.

لا تأس: لا تحزن.

الشذيِّ: طيبة الرائحة.

